

أصناف الناس في جوهرة العقل



إنّ إِن سبحانه بلطفه وحكمته وهب للإنسان العقل، وما قسّم إِن بين العباد بأفضل منه، فتشرف به في خلقه، وامتاز عن العجمادات بعقله، وكان العقل دعامته في حياته، وحاز الفضائل ونال المكارم، وحلّق في سماء السجايا الطيبة والصفات الحميدة بتهذيب نفسه، وصيقلة قلبه، وتزكية روحه بالعلم والتربية، فكان مظهراً لأسماء إِن الحسن، ومراةً لصفاته العليا، ببركة مبادئه السليمة وعقله النير، فهو دليله وبصره، وفتح أمره، وبضميره الوعي وفطرته السليمة، ونفسه اللوّامة، وبأخلاقه الحسنة، وسلوكه الطيب، وقلبه الطاهر المفعّم بالإيمان الراسخ، والمتسبّع بالعلم النافع والعمل الصالح...

إنّ الإنسان يقوّي الدرّاكه وبنفسه الناطقة وعقله السليم، كان في أحسن تقويم، ويكون في نهاية مطافه وحياته، أبيدي الروح في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى من العليّ الأعلى.

الناس في رحاب العقل على أصناف:

الأوّل: أن يكون فاقداً لعقله فذلك المجنون الأدواري أو الأطبافي، وانّه رفع القلم عنه حتى يفيق، فلا تكليف عليه، كما لا ثواب له ولا عقاب عليه، إذ بالعقل يكون الثواب والعقاب، كما ورد في أخبار خلقة العقل، وانّه خُلق من نور إِن سبحانه، وانّه (بك أُثيب وبك أُعاقب) وما عقولنا إِلا ضلّ لذلك العقل المجرّد الأوّلي. وله علقة به كعلقة الروح بالعظام الذّخرة.

الثاني: أو يكون سفيهاً أبلهاً لا يعرف كيف يتصرف في أمواله (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ) (النساء / 5).

الثالث: وإنّما أن يكون عاقلاً ذا نفس ناطقة وقوّة درّاكه، فيدرك به الكليّات، ويميز بين

الخير والشرّ، ويعرف مصالحه الشخصية ومنافعه العامة، ويعبد الله بعقله، ويكتسب الجنان بلبه، وينال به خير الدنيا ويعيشها الرغيد وسعادة الآخرة (وَأَمَّا الْمُذْكُورُونَ سُعْدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدُونَ) (هود/ 108).

وقد اختلف العلماء الأعلام في ماهية العقل ومقامه الشامخ، وتعريفه وبيان حدوده على أقوال، كل من منطلق علمه وفنه، فاختلفت التعريفات وتقسيمات العقل، كما عند الحكماء: إلى العقل الهيولاني والمستفاد وبالفعل والعقل الكلاسي، كما اختلف تعريف العقل لغة ومصطلحاً عند الفلاسفة والمنطقيين والأصوليين، وفي الأحاديث الشريفة وغير ذلك، وقد ورد في الأخبار المئات من الكلمات التي تشير إلى حقيقة العقل ومن هم العقلاة؟ وما هي صفاتهم وأثارهم العقلانية في سلوكهم الفردي والاجتماعي.

-1 عن أمير المؤمنين عليّ (ع) قال: "قال رسول الله (ص): إنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ نُورٍ مَخْزُونٍ فِي سَاقِ عِلْمِهِ الَّذِي لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مَرْسُلٌ وَلَا مَلِكٌ مُقْرَّبٌ، فَجَعَلَ الْعِلْمَ نَفْسَهُ، وَالْفَهْمَ رُوحَهُ، وَالزَّهْدَ رَأْسَهُ، وَالْحَيَاءَ عَيْنَهُ، وَالْحُكْمَةَ لِسَانَهُ، وَالرَّأْفَةَ هَمَّهُ، وَالرَّحْمَةَ قَلْبَهُ، ثُمَّ أَنَّهُ حَشَّاًهُ وَقَوْاًهُ بِعِشْرَةِ أَشْيَاءٍ: الْيَقِينَ وَالإِيمَانَ وَالْمَدْقَ وَالسَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَالرِّفْقَ وَالتَّقْوَى وَالْإِلْحَافَ وَالْعَطْيَّةَ وَالْقَنْوَعَ وَالْتَّسْلِيمَ وَالرَّضَا وَالشُّكْرِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلَ فَأَقْبِلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرَ فَأَدْبِرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: تَكَلُّمْ فَتَكَلُّمْ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِثْدٌ وَلَا مِثْلٌ وَلَا شَبِيهٌ وَلَا كَفُوٌّ وَلَا عَدِيلٌ، الَّذِي كُلٌّ شَيْءٌ لَعْظَمَتْهُ خَاصِّهُ ذَلِيلٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَعَزَّتِي وَجَلَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحْسَنَ مِنْكَ وَلَا أَطْوَعَ لِي مِنْكَ وَلَا أَرْفَعَ وَلَا أَشْرُفَ مِنْكَ، وَلَا أَعْزُ عَلَيْكَ مِنْكَ، بَكَ أُوْحَدَ، وَبَكَ أُعْبَدَ، وَبَكَ أُدْعَى، وَبَكَ أَرْتَجَى، وَبَكَ أَخَافَ، وَبَكَ أُبَتَّغَى، وَبَكَ أُحْذَرُ، وَبَكَ التَّوَابُ وَبَكَ الْعِقَابُ، فَخَرَّ الْعِقْلُ عِنْدَ ذَلِكَ ساجِدًا، وَكَانَ فِي سَحْوَهُ أَلْفُ عَامٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسُلْ تُعْطِي وَأَشْفَعْ تُشْفِعْ، فَرَفِعَ الْعِقْلُ رَأْسَهُ فَقَالَ: إِلَهِي أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفِعَنِي فِيمَنْ جَعَلْتَنِي فِيهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: أُشَهِّدُكُمْ أَنِّي قدْ شَفَّعْتُهُ فِيمَنْ خَلَقْتُهُ فِيهِ.

روي أنّ حبرائيل (ع) هبط إلى آدم فقال: يا أبا البشر أُمرت أن أُخْيِّرك بين ثلاثٍ فاختر منهنّ^٣ واحدة ودع اثنتين، فقال له آدم: وما هنّ؟ فقال: العقل والحياة والإيمان، فقال آدم (ع): قد اخترت العقل، قال: حبرائيل للإيمان والحياة إرلا، فقال: أُمرنا أن لا نفارق العقل.

3- قيل إنّهم وصفوا رجلاً عند رسول الله ﷺ بحسن عبادته فقال: أُنظروا إلى عقله، فإنما يجزي العباد يوم القيمة على قدر عقولهم، وحسن الأدب دليل على صحة العقل.

4- روى أنّ الحسن بن عليّ (ع) قال في خطبة له: أعلموا أنَّ العقل حرز، والحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفة، والسفه ضعف، ومحاللة أهل الدنيا شين، ومخالطة أهل الفسق ريبة... والعقل أفضل ما وهبناه للعبد، إذ به نجاته في الدنيا من آفاقها، وسلماته في الآخرة من عذابها.

الرابع: وإنما يكون من ذوي الألباب وخالف العقول، أصحاب أفهم وعقول زكيّة، فاصطفاهم من بين خلقه، ليكرّهم بجواره وقربه، ويلبسهم ثوب ولاليته وعزّته، ويفيض عليهم إلهاماً من علمه وحكمته ولطفه. فیناجيهم في سرّهم ويكلّمهم في ذات عقولهم.

فازوا بخير الدنيا والآخرة، وكأنوا من أولياء الله وأحبابه، ولدوا وعاشوا وما توا وحشروا سعداء
صلحاء أخيار أبرار، كانوا في أحسن تقويم وأعلى عليين.

5- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعقل الناس أفالهم ، ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير فيه ، كان حقه في أغلب خصال الشر فيه ، وكل شيء إذا كثر رحم ، إِلَّا العقل إذا كثر على ، والعقل الصحيح ما حصلت به الجنّة ، والعاقل يُؤلّف العاقل ، والجاهل يؤلف الجاهل ، ولقد أحسن من قال شعراً :

إذا لم يكن للمرء عقل يزيّنه *** ولم يك ذا رأي سديد ولا أدب

فما هو إلا ذو قوائم أربعٌ *** وإن كان ذا مال كثير وهذا حسب

وقال: إذا ستر ^أ عبداً حصر عليه العلم والأدب، ولا يزال المرء في صحة من عقله ودينه ما لم يشرب مسکراً.

6- قال أمير المؤمنين (ع): "العقل ولادة، والعلم إفادة، ومحالسُ العلماء زِيادة".

7- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل".

8- وجاء في قوله تعالى: (لَيْدُنْدِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً) (يس/ 70)، قال: يعني من كان عاقلاً.

9- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يكون العاقل مؤمناً حتى تجتمع فيه عشر خصال: الخير منه وأمول، والشرّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقلّ كثير الخير من نفسه، لا يسأل من طلب العلم طول عمره، ولا يتبرّم لطلب الحوائج من قبله، الذلّ أحبّ إليه من العزّ، والفقر أحب إليه من الغنى، نصيبه من الدنيا القوت، والعasher: لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى".

10- قال مصنف كتاب (ارشاد القلوب) الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي: لكل أدب ينبع، وأمير الفضل وينبوع الأدب العقل، جعله الله لمعرفته، وللدين أصلاً، وللملك والدنيا عماداً، وللسلامة من المهمليات معقلاً مع اختلافهم وتباعين أغرائهم ومقاصدهم، وما استودع الله تعالى أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً، والعقل أصدق مشير وأفصح خليل وخير جليس ونعم وزير وخير المواهب العقل، وشرّها الجهل، قال بعضهم شرعاً:

إذا تم عقل المرء تمّت أُموره ** وتمّت أياديـه وتمـّ ثناـؤه

المصدر: كتاب في رحاب أولي الألباب